وقفة وفاء

أخي الأستاذ عبد الله باشا.. مسيرة عطاء(*)

بقلم: أ.د. مسعود فلوسي

كان خبرا فاجعا ذلك الذي بلغني صبيحة يوم الأربعاء 26 ربيع الثاني 1443هـ، الموافق لـ 01 ديسمبر 2021م، حين اتصل بي الصديق والزميل الأستاذ جمال بن العشي، وأعلمني بوفاة الأخ الكريم والصديق العزيز وزميل الدراسة الجامعية الأستاذ عبدالله باشا، ومما زاد في فجاعة الخبر أننا - أي أصدقاءه - كنا نأمل أن يخرج من المستشفى سليما معافى ويعود إلى حياته العادية بعد أن بدأت تظهر بوادر شفائه من إصابته بفيروس كورونا، لكن قضاء الله عز وجل سبق ففاضت روح أخينا عبدالله إلى بارئها ملتحقا بمن سبقه إلى دار البقاء من ضحايا هذا الفيروس الرهيب.

نبذة من سيرته

هو عبدالله باشا، من مواليد "جمورة" بولاية بسكرة سنة 1968. زاول دراسته الابتدائية في مدرسة سيدهم ميلود بمدينة بسكرة ما بين سنة 1974 وسنة 1980. وبعد حصوله على شهادة التعليم الابتدائي التحق بمتوسطة زاغز جلول التي درس فيها المرحلة المتوسطة ونال منها شهادة التعليم المتوسط في شهر جوان 1984. أما الدراسة الثانوية فقد زاولها في متقن سعيد بن شايب، وقد تكللت بحصوله على شهادة البكالوريا فرع المحاسبة في شهر جوان 1987. ولما علم بافتتاح معهد العلوم

(*). مقال منشور في جريدة "الوسط" الجزائرية، العـددان 6014 و6015، ليومي 4 و5 ديسمبر 2022م.

الإسلامية بباتنة في سبتمبر 1987 سارع إلى التسجيل فيه ليكون أحد طلبة دفعته الأولى. وبعد أربع سنوات من الدراسة حصل شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الفقه، في شهر جوان 1991.

أما مساره العملي فقد بدأه في شهر سبتمبر 1991، حين عين أستاذا في ثانوية العربي بن مهيدي بمدينة بسكرة، والتي درَّس فيها بضع سنوات، ثم انتقل إلى مسقط رأسه جمورة أين درس في ثانويتها، ثم التحق بالخدمة الوطنية مجندا في صفوف الجيش الوطني الشعبي.

بعد أداء واجب الخدمة الوطنية، عاد من جديد إلى ثانوية العربي بن مهيدي بمدينة بسكرة، التي ظل يُدرس فيها إلى غاية سنة 2009، عُيِّن بعدها مديرا لثانوية في مدينة عين ولمان بولاية سطيف، والتي ظل يديرها مدة ثلاث سنوات.

وفي سنة 2012 انتقل إلى مدينة باتنة مديرا لثانوية العربي التبسي لمدة ثلاث سنوات، نُقل بعدها إلى ثانوية الإخوة العمراني بنفس المدينة والتي قضى فيها سنواته الأخيرة.

وأثناء وجوده في مدينة باتنة التحق بالدراسة الجامعية من جديد في سلك الماستر، حيث حصل على هذه الشهادة سنة 2016، بعد سنتين من الدراسة، على مستوى كلية العلوم الإسلامية بباتنة.

أبلى المرحوم بلاء حسنا في ثانوية الإخواة العمراني، فقد استطاع أن يجعل منها الثانوية النموذجية في ولاية باتنة، حيث أصبحت تحت إدارته الثانوية الأولى في الترتيب على مستوى الولاية، ولم تعد تستقبل سوى أنجب التلاميذ الناجحين بتفوق في شهادة التعليم المتوسط.

علاقتي به

ترجع علاقتي بالأخ عبدالله باشا إلى شهر سبتمبر 1987، حين التحقنا سويا بمعهد العلوم الإسلامية بباتنة ضمن طلبة الدفعة الأولى للمعهد، فقد تعارفنا منذ الأيام الأولى وربطتنا علاقة أخوة وصداقة وثيقة. ومما زاد هذه العلاقة توثقا ومتانة حرصنا الدائم على حضور الدروس والمحاضرات والاحتكاك بالأساتذة وشهود الملتقيات والندوات التي كانت تعقد باستمرار في مدينة باتنة في تلك الفترة الذهبية من أواخر الثمانينات من القرن الماضي.

ومما ميز علاقتنا في تلك المرحلة أننا كثيرا ما كنا نلتقي معا رفقة زميلنا عبد الباسط دردور وزملاء آخرين لنتدارس معا ما كنا نتلقاه من دروس ومحاضرات على أيدي أساتذتنا، حيث نراجعها مع بعضنا ونتناقش فيها، وكانت تلك اللقاءات كثيرا ما تمتزج بالفكاهة من خلال ما يُدلي به بعضنا في كل مرة من نكت وحكايات تدفع الملل وتجدد النشاط. كما كانت تلك اللقاءات تتميز بالشاي اللذيذ الذي كان يعده لنا الأخ عبدالله حينما نلتقي في غرفته بالحي الجامعي، وكان بارعا في إعداده وتحضيره وتقديمه.

كما كنا حريصين على زيارة أساتذتنا الأزهريين وغيرهم الذين كانوا يُدرسوننا، فكنا نذهب إليهم في بيوتهم، وكانوا يستقبلوننا بترحاب وفرح وسرور، وأذكر من بين من كنا نزورهم كثيرا مشايخنا الأفاضل: عايش رجب الكبيسي وعبد الفتاح الفرنواني رحمهما الله، ويوسف حسين أحمد حفظه الله، وغيرهم.

وبعد التخرج ظلت العلاقة مستمرة بيننا، فقد كنت ألتقي به عندما أذهب إلى مدينة بسكرة التي كنت دائم الزيارة لأقاربي فيها. ثم انقطعت تلك العلاقة حين تعذر اللقاء عندما التحق بعين ولمان مديرا لثانويتها. لكن هذه العلاقة ما لبثت أن عادت إلى عهدها حين رجع إلى مدينة باتنة مديرا لثانوية العربي التبسي ثم مديرا لثانوية الإخوة العمراني، حيث كنا نلتقي مرة بعد مرة، أحيانا على غداء، وأحيانا على قهوة او شاي، وأحيانا في الثانوية أو في الكلية، وكان يشاركنا هذه اللقاءات الإخوة الزملاء عبد الباسط دردور والهاشمي قروف وجمال بن العشي وغيرهم.

وحتى عندما انتشر فيروس كورونا وبدأ يفتك بالناس في كل مكان، لم تنقطع صِلاتنا، فقد ظللنا نلتقي باستمرار، مع التزام إجراءات التحفظ الصحي.

وأذكر آخر ثلاثة لقاءات جمعتني به، أولها حينما طلب مني أن أصحبه مع إخوته وأقاربه لحضور مراسيم عقد زواج ابن أخيه في بيت صهره. واللقاء الثاني كان بمناسبة زواج ابنة أحد إخواننا الذين التحقوا بالرفيق الأعلى، حيث دعانا أبناؤه

لحضور عقد زواج أختهم باعتبارنا من أحباب والدهم، فذهبت برفقته وفرحوا بنا وحضرنا إبرام العقد ودعوْنا للزوجين بالخير والبركة، وتناولنا الغداء معهم ثم انصرفنا مودَّعين بشكرهم وعرفانهم. أما اللقاء الأخير فقد جمعنا على مائدة الغداء في مطعم الكرة الذهبية، وبعده دعاني للذهاب معه لرؤية بيته الذي كان يضع اللمسات الأخيرة عليه، وعندما وصلنا إلى البيت ودخلنا بدأ يطوف بي في أرجائه ويشرح لي رؤيته في التصميم الذي بناه عليه، وتصوره لما سيكون عليه بعد اكتماله. بعد ذلك دعوته بدوري للذهاب إلى بيتي الذي كنت بصدد بنائه لأطلعه على ما وصلت إليه الأشغال التي كانت جارية فيه، وهناك قدم لي جملة من الملاحظات والنصائح، ثم عاد هو إلى الثانوية ورجعت أنا إلى الكلية، وكان ذلك آخر لقاء جمعنا. اما آخر مكالمة جرت بيننا فقد كانت حين علمت بإصابته بالوباء فاتصلت به للاطمئنان عليه، وحين رد عليَّ لم يستطع إكمال المكالمة بسبب السعال الشديد الذي انتابه، فودعته متمنيا له الشفاء والسلامة.

وفاته وجنازته

عندما بدأ فيروس كورونا بالتراجع، وبدأ الناس يتخففون شيئا فشيئا من إجراءات الوقاية الصحية الصارمة، فوجئنا بإصابة أخينا عبدالله بهذا الفيروس في أوائل شهر نوفمبر 2021، وقد كان رحمه الله يحسب الأمر مجرد نزلة برد بسيطة، لكن مع تفاقم حالته الصحية تبين أنه مصاب بالفيروس الفتاك، وهو ما استوْجب نقله إلى مستشفى الأمراض الصدرية، ونظرا لتدهور حالته تم تحويله إلى مصلحة العناية المركزة بالمستشفى الجامعي لمدينة باتنة، وهناك قدمت له الإسعافات الضرورية، وظل يعالج حتى بدأت تظهر عليه علامات التعافي التدريجي، وبدأنا ننتظر خروجه من المستشفى للاحتفاء بعودته إلى حياته العادية وإلى أصدقائه ومحبيه.

لكن تبين أن تلك البوادر التي ظهرت عليه لم تكن سوى إرهاصات الموت الذي أعقبها، فقد تراجعت صحته من جديد وسرعان ما فاضت روحه إلى بارئها فجر يوم الأربعاء 26 ربيع الثاني 1443هـ، الموافق لـ 01 ديسمبر 2021م. وفي مساء ذلك اليوم اجتمع في مقر ثانوية الإخوة العمراني المئات من أصدقائه وأحبابه وزملائه وعارفيه ومحبيه وألقوا النظرة الأخيرة على وجهه، ثم حُمل جثمانه إلى مسجد صهيب الرومي أين صُليت عليه صلاة الجنازة ومنه إلى مقبرة بوزوران أين ووري الثرى.

أربعينيته

بعد مرور أربعين يوما على وفاة أخينا عبدالله، نظمت ثانوية الإخوة العمراني يوما دراسيا، دعت إليه أصدقاء الفقيد وزملاءه وأحبابه وأفراد عائلته الكبيرة، وكانت المناسبة فرصة للاستماع إلى شهادات كثيرة تبارى من سمحت لهم الفرصة للحديث في الإدلاء بها، وقد اتفقت جميع الشهادات على ما تحلى به الفقيد من خصال وما قام به من أعمال وما تميز به من جد واجتهاد وعطاء غير محدود.

وقد كنت من بين من أتيحت لهم فرصة التدخل، فتحدثت عن علاقتي به ومسيرتي معه وروابط المودة والمحبة التي جمعتنا طيلة أربعة وثلاثين عاما، والخصال التي عرفتها فيه والأخلاق الإسلامية العالية التي رأيتها متجسدة في شخصه.

خصاله الحميدة

اجتمعت في أخينا الحبيب عبدالله باشا رحمه الله مجموعة من الخصال التي قلَّ أن تجتمع في شخص واحد، وهذه الخصال ظلت ملازمة لشخصيته طيلة الفترة التي عرفته خلالها، ومنها:

1- صفاء القلب وعفة اللسان؛ فهو لم يكن يحمل حقا لأحد أو يبغض أحدا، كما أنه كان عفيف اللسان لا ينطق بما يؤذي غيره أو يغضب ربه.

2- الألفة؛ فقد كان ممن يصدق فيهم الحديث المروي عن رسول الله ﷺ: (المُؤمِنُ يألَفُ ويُؤلَفُ)، حيث كان سهلا هينا، ممن تُكسب صداقته بسهولة، وممن إذا اتصلت به لم تجد أي حرج في معاملته، وإذا صحبته لم تشعر بالوحشة معه. يتجلى هذا في الأصدقاء الذين اكتسبهم في رحلة الحياة والذين ظلت علاقته بهم ثابتة لم تتبدل ولم تتغير إلى يوم رحيله.

3- المرونة؛ وقد تجلت هذه الخصلة فيه بعد أن أصبح مديرا، حيث وظفها في التعامل مع الناس ومع من يقصدونه من أصحاب الحاجات وخاصة المسؤولين والأعيان، والذين يحرصون على أن يدرس أبناؤهم في ثانوية العمراني، فكان يعالج طلباتهم بكل مرونة وحكمة، ويلبي منها ما تسمح به مكانة المؤسسة والمرتبة التي وصلتها، وحتى من لا يقضي لهم ولا يلبي طلباتهم كان يرضيهم بالكلمة الطيبة والتدخل لإلحاق أبنائهم بثانويات أخرى.

4- الوفاء؛ وهذا ما ميز علاقته بأصدقائه وأساتذته، فكان يذكر الجميع بخير، ولا يقدح في أحد ممن عرفه في رحلة الحياة. ومما أذكره في هذا السياق وقفته مع أخينا الأستاذ محمد الشريف بغامي رحمه الله خلال تواجده في المستشفى، حيث ظل يزوره ويتفقد أحواله يوميا دون انقطاع حتى وفاته.

5- الخدمة؛ حيث كان يبذل خدماته لكل من يقصده في حاجة من الحاجات التي تدخل تحت نطاق وظيفته، وخاصة لأصدقائه وأحبابه وأساتذته وزملائه أيام الدراسة. وأذكر أنني قصدته في عدة خدمات، سواء لي أو لغيري، فلم يتردد في بذل أقصى ما يستطيع من جهد واستعمال علاقاته لتقديم هذه الخدمات، ولم يكن يتردد حتى أن يوقع نفسه في الحرج في بعض الأحيان لتيسيرها. ولم أكن الوحيد الذي قدم له هذه الخدمات، وإنما كان يبذلها لكل من يقصده، ويسعى في تحقيقها بقدر ما يملك من جهد وطاقة، وفيه يصدق أيضا ما روي عن رسو ل الله ﷺ: (أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا).

هذه خصال خبرتها وعرفتها في أخينا عبدالله باشا، ولست أزكيه على الله عز وجل، وإنما أقول ما علمت في رجل أحسبه من المؤمنين الصادقين الذين أكرمني الله عز وجل بمعرفتهم وصحبتهم في هذه الرحلة الحياتية العابرة على هذه الأرض. رحم الله أخانا عبدالله وجمعنا به في جنات النعيم (إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ)، (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ).

وقفة وفاء

أخي الأستاذ عبد الله باشا.. مسيرة عطاء

بقلم: أ.د. مسعود فلوسي

كان خبرا فاجعا ذلك الذي بلغني صبيحة يوم الأربعاء 26 ربيع الثاني 1443هـ، الموافق لـ 01 ديسمبر 2021م، حين اتصل بي الصديق والزميل الأستاذ جمال بن العشي، وأعلمني بوفاة الأخ الكريم والصديق العزيز وزميل الدراسة الجامعية الأستاذ عبدالله باشا، ومما زاد في فجاعة الخبر أننا - أي أصدقاءه - كنا نأمل أن يخرج من المستشفى سليما معافى ويعود إلى حياته العادية بعد أن بدأت تظهر بوادر شفائه من إصابته بفيروس كورونا، لكن قضاء الله عز وجل سبق ففاضت روح أخينا عبدالله إلى بارئها ملتحقا بمن سبقه إلى دار البقاء من ضحايا هذا الفيروس الرهيب.

نبذة من سيرته

هو عبدالله باشا، من مواليد "جمورة" بولاية بسكرة سنة 1968. زاول دراسته الابتدائية في مدرسة سيدهم ميلود بمدينة بسكرة ما بين سنة 1974 وسنة 1980. وبعد حصوله على شهادة التعليم الابتدائي التحق بمتوسطة زاغز جلول التي درس فيها المرحلة المتوسطة ونال منها شهادة التعليم المتوسط في شهر جوان 1984.

أما الدراسة الثانوية فقد زاولها في متقن سعيد بن شايب، وقد تكللت بحصوله على شهادة البكالوريا فرع المحاسبة في شهر جوان 1987. ولما علم بافتتاح معهد العلوم الإسلامية بباتنة في سبتمبر 1987 سارع إلى التسجيل فيه ليكون أحد طلبة دفعته الأولى. وبعد أربع سنوات من الدراسة حصل شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الفقه، في شهر جوان 1991.

أما مساره العملي فقد بدأه في شهر سبتمبر 1991، حين عين أستاذا في ثانوية العربي بن مهيدي بمدينة بسكرة، والتي درّس فيها بضع سنوات، ثم انتقل إلى مسقط رأسه جمورة أين درس في ثانويتها، ثم التحق بالخدمة الوطنية مجندا في صفوف الجيش الوطني الشعبي.

بعد أداء واجب الخدمة الوطنية، عاد من جديد إلى ثانوية العربي بن مهيدي بمدينة بسكرة، التي ظل يُدرس فيها إلى غاية سنة 2009، عُيّن بعدها مديرا لثانوية في مدينة عين ولمان بولاية سطيف، والتي ظل يديرها مدة ثلاث سنوات.

وفي سنة 2012 انتقل إلى مدينة باتنة مديرا لثانوية العربي التبسي لمدة ثلاث سنوات، نُقل بعدها إلى ثانوية الإخوة العمراني بنفس المدينة والتي قضى فيها سنواته الأخيرة.

وأثناء وجوده في مدينة باتنة التحق بالدراسة الجامعية من جديد في سلك الماستر، حيث حصل على هذه الشهادة سنة 2016، بعد سنتين من الدراسة، على مستوى كلية العلوم الإسلامية بباتنة.

أبلى المرحوم بلاء حسنا في ثانوية الإخوة العمراني، فقد استطاع أن يجعل منها الثانوية النموذجية في ولاية باتنة، حيث أصبحت تحت إدارته الثانوية الأولى في الترتيب على مستوى الولاية، ولم تعد تستقبل سوى أنجب التلاميذ الناجحين بتفوق في شهادة التعليم المتوسط.

علاقتي به

ترجع علاقتي بالأخ عبدالله باشا إلى شهر سبتمبر 1987، حين التحقنا سويا بمعهد العلوم الإسلامية بباتنة ضمن طلبة الدفعة الأولى للمعهد، فقد تعارفنا منذ الأيام الأولى وربطتنا علاقة أخوة وصداقة وثيقة، ومما زاد هذه العلاقة توثقا ومتانة حرصنا الدائم على حضور الدروس والمحاضرات والاحتكاك بالأساتذة وشهود الملتقيات والندوات التي كانت تعقد باستمرار في مدينة باتنة في تلك الفترة الذهبية من أواخر الثمانينات من القرن الماضي.

ومما ميز علاقتنا في تلك المرحلة أننا كثيرا ما كنا نلتقي معا رفقة زميلنا عبد الباسط ردرور وزملاء آخرين لنتدارس معا ما كنا نتلقاه من دروس ومحاضرات على أيدي أساتذتنا، حيث نراجعها مع بعضنا ونتناقش فيها. وكانت تلك اللقاءات كثيرا ما تمتزج بالفكاهة من خلال ما يُدلي به بعضنا في كل مرة من نكت وحكايات تدفع الملل وتجدد النشاط. كما كانت تلك اللقاءات تتميز بالشاي اللذيذ الذي كان يعده لنا الأخ عبدالله حينما نلتقي في غرفته بالحي الجامعي، وكان بارعا في إعداده وتحضيره وتقديمه.

كما كنا حريصين على زيارة أساتذتنا الأزهريين وغيرهم الذين كانوا يُدرسوننا، فكنا نذهب إليهم في بيوتهم، وكانوا يستقبلوننا بترحاب وفرح وسرور. وأذكر من بين من كنا نزورهم كثيرا مشايخنا الأفاضل: عايش رجب الكبيسي وعبد الفتاح الفرنواني رحمهما الله، ويوسف حسين أحمد حفظه الله، وغيرهم.

وبعد التخرج ظلت العلاقة مستمرة بيننا، فقد كنت ألتقي به عندما أذهب إلى مدينة بسكرة التي كنت دائم الزيارة لأقاربي فيها. ثم انقطعت تلك العلاقة حين تعذر اللقاء عندما التحق بعين ولمان مديرا لثانويتها. لكن هذه العلاقة ما لبثت أن عادت إلى عهدها حين رجع إلى مدينة باتنة مديرا لثانوية العربي التبسي ثم مديرا لثانوية الإخوة العمراني، حيث كنا نلتقي مرة بعد مرة، أحيانا على غداء، وأحيانا على قهوة او شاي، وأحيانا في الثانوية أو في الكلية، وكان يشاركنا هذه اللقاءات الإخوة الزملاء عبد الباسط ردرور والهاشمي قروف وجمال بن العشي وغيرهم.

وحتى عندما انتشر فيروس كورونا وبدأ يفتك بالناس في كل مكان، لم تنقطع صلاتنا، فقد ظللنا نلتقي باستمرار، مع التزام إجراءات التحفظ الصحي.

وأذكر آخر ثلاثة لقاءات جمعتني به، أولها حينما طلب مني أن أصحبه مع إخوته وأقاربه لحضور مراسيم عقد زواج ابن أخيه في بيت صهره، واللقاء الثاني كان بمناسبة زواج ابنة أحد إخواننا الذين التحقوا بالرفيق الأعلى، حيث دعانا أبناؤه لحضور عقد زواج أختهم باعتبارنا من أحباب والدهم، فذهبت برفقته وفرحوا بنا وحضرنا إبرام العقد ودعونا للزوجين بالخير والبركة، وتناولنا الغداء معهم ثم انصرفنا مودّعين بشكرهم وعرفانهم. أما اللقاء الأخير فقد جمعنا على مائدة الغداء في مطعم الكرة الذهبية، وبعده دعاني للذهاب معه لرؤية بيته الذي كان يضع اللمسات الأخيرة عليه، وعندما وصلنا إلى البيت ودخلنا بدأ يطوف بي في أرجائه ويشرح لي رؤيته في التصميم الذي بناه عليه، وتصوره لما سيكون عليه بعد اكتماله. بعد ذلك دعوته بدوري للذهاب إلى بيتي الذي كنت بصدد بنائه لأطلعه على ما وصلت إليه الأشغال التي كانت جارية فيه، وهناك قدم لي جملة من الملاحظات والنصائح، ثم عاد هو إلى الثانوية ورجعت أنا إلى الكلية، وكان ذلك آخر لقاء جمعنا. اما آخر مكالمة جرت بيننا فقد كانت حين علمت بإصابته بالوباء فاتصلت به للاطمئنان عليه، وحين رد عليّ لم يستطع إكمال المكالمة بسبب السعال الشديد الذي انتابه، فودعته متمنيا له الشفاء والسلامة.

الوسط

وقفة وفاء

الجزء 02

أخي الأستاذ عبد الله باشا.. مسيرة عطاء

بقلم: أ.د. مسعود فلوسي

كان خبرا فاجعا ذلك الذي بلغني صبيحة يوم الأربعاء 26 ربيع الثاني 1443هـ، الموافق لـ 01 ديسمبر 2021م، حين اتصل بي الصديق والزميل الأستاذ جمال بن العشي، وأعلمني بوفاة الأخ الكريم والصديق العزيز وزميل الدراسة الجامعية الأستاذ عبدالله باشا، ومما زاد في فجاعة الخبر أننا - أي أصدقاءه - كنا نأمل أن يخرج من المستشفى سليما معافى ويعود إلى حياته العادية بعد أن بدأت تظهر بوادر شفائه من إصابته بفيروس كورونا، لكن قضاء الله عز وجل سبق ففاضت روح أخينا عبدالله إلى بارئها ملتحقا بمن سبقه إلى دار البقاء من ضحايا هذا الفيروس الرهيب.

وفاته وجنازته

عندما بدأ فيروس كورونا بالتراجع، وبدأ الناس يتخففون شيئا فشيئا من إجراءات الوقاية الصحية الصارمة، فوجئنا بإصابة أخينا عبدالله بهذا الفيروس في أوائل شهر نوفمبر 2021، وقد كان رحمه الله يحسب الأمر مجرد نزلة برد بسيطة، لكن مع تفاقم حالته الصحية تبين أنه مصاب بالفيروس الفتاك، وهو ما استوّجب نقله إلى مستشفى الأمراض الصدرية، ونظرا لتدهور حالته تم تحويله إلى مصلحة العناية المركزة بالمستشفى الجامعي لمدينة باتنة، وهنالك قدمت له الإسعافات الضرورية، وظل يعالج حتى بدأت تظهر عليه علامات التعافي التدريجي، وبدأنا ننتظر خروجه من المستشفى للاحتفاء بعودته إلى حياته العادية وإلى أصدقائه ومحبيه.

لكن تبين أن تلك البوادر التي ظهرت عليه لم تكن سوى إرهاصات الموت الذي أعقبها، فقد تراجعت صحته من جديد وسرعان ما فاضت روحه إلى بارئها فجر يوم الأربعاء يوم الأربعاء 26 ربيع الثاني 1443هـ الموافق لـ 01 ديسمبر 2021م. وفي مساء ذلك اليوم اجتمع في مقر ثانوية الإخوة العمراني المئات من أصدقائه وأحبابه وزملائه وعارفيه ومحبيه وألقوا النظرة الأخيرة على وجهه، ثم حُمل جثمانه إلى مسجد صهيب الرومي أين صُليت عليه صلاة الجنازة ومنه إلى مقبرة بوزوران أين ووري الثرى.

أربعينيته

بعد مرور أربعين يوما على وفاة أخينا عبدالله، نظمت ثانوية الإخوة العمراني يوما دراسيا، دعت إليه أصدقاء الفقيد وزملاءه وأحبابه وأفراد عائلته الكبيرة، وكانت المناسبة فرصة للاستماع إلى شهادات كثيرة تبارى من سمحت لهم الفرصة للحديث في الإدلاء بها، وقد اتفقت جميع الشهادات على ما تحلى به الفقيد من خصال وما قام به من أعمال وما تميز به من جد واجتهاد وعطاء غير محدود.

وقد كنت من بين من أتيحت لهم فرصة التدخل، فتحدثت عن علاقتي به ومسيرتي معه وروابط المودة والمحبة التي جمعتنا طيلة أربعة وثلاثين عاما، والخصال التي عرفتها فيه والأخلاق الإسلامية العالية التي رأيتها متجسدة في شخصه.

خصاله الحميدة

اجتمعت في أخينا الحبيب عبدالله باشا رحمه الله مجموعة من الخصال التي قلّ أن تجتمع في شخص واحد، وهذه الخصال ظلت ملازمة لشخصيته طيلة الفترة التي عرفته خلالها، ومنها:

1- صفاء القلب وعفة اللسان؛ فهو لم يكن يحمل حقا لأحد أو يبغض أحدا، كما أنه كان عفيف اللسان لا ينطق بما يؤذي غيره أو يغضب ربه.

1- الألفة: فقد كان ممن يصدق فيهم الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمنُ يألَفُ ويُؤلَفُ)، حيث كان سهلا هينا، ممن تُكسب صداقته بسهولة، وممن إذا اتصلت به لم تجد أي حرج في معاملته، وإذا صحبته لم تشعر بالوحشة معه، يتجلى هذا في الأصدقاء الذين اكتسبهم في رحلة الحياة والذين ظلت علاقته بهم ثابتة لم تتبدل ولم تتغير إلى يوم رحيله.

2- المرونة: وقد تجلت هذه الخصلة فيه بعد أن أصبح مديرا، حيث وظفها في التعامل مع الناس ومع من يقصدونه من أصحاب الحاجات وخاصة المسؤولين والأعيان، والذين يحرصون على أن يدرس أبناؤهم في ثانوية العمراني، فكان يعالج طلباتهم بكل مرونة وحكمة، ويلبي منها ما تسمح به مكانة المؤسسة والمرتبة التي وصلتها، وحتى من لا يقضي لهم ولا يلبي طلباتهم كان يرضيهم بالكلمة الطيبة والتدخل لإلحاق أبنائهم بثانويات أخرى.

3- الوفاء: وهذا ما ميز علاقته بأصدقائه وأساتذته، فكان يذكر الجميع بخير، ولا يقدح في أحد ممن عرفه في رحلة الحياة. ومما أذكره في هذا السياق وقفته مع أخينا الأستاذ محمد الشريف بغامي رحمه الله خلال تواجده في المستشفى، حيث ظل يزوره ويتفقد أحواله يوميا دون انقطاع حتى وفاته.

4- الخدمة: حيث كان يبذل خدماته لكل من يقصده في حاجة من الحاجات التي تدخل تحت نطاق وظيفته، وخاصة لأصدقائه وأحبابه وأساتذته وزملائه أيام الدراسة، وأذكر أنني قصدته في عدة خدمات، سواء لي أو لغيري، فلم يتردد في بذل أقصى ما يستطيع من جهد واستعمال علاقاته لتقديم هذه الخدمات، ولم يكن يتردد حتى أن يوقع نفسه في الحرج في بعض الأحيان لتيسيرها، ولم أكن الوحيد الذي قدم له هذه الخدمات، وإنما كان يبذلها لكل من يقصده، ويسعى في تحقيقها بقدر ما يملك من جهد وطاقة، وفيه يصدق أيضا ما روي عن رسو ل الله صلى الله عليه وسلم: (أَحبُّ الناس إلى الله أَنْفَعُهُمْ للنَّاس، وأَحبُّ الأعمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يُدْخِلُهُ على مسلمٍ، أَوْ يَكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عنهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا).

هذه خصال خبرتها وعرفتها في أخينا عبدالله باشا، ولست أزكيه على الله عز وجل، وإنما أقول ما علمت في رجل أحسبه من المؤمنين الصادقين الذين أكرمني الله عز وجل بمعرفتهم وصحبتهم في هذه الرحلة الحياتية العابرة على هذه الأرض.

رحم الله أخانا عبدالله وجمعنا به في جنات النعيم (إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ)، (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)